

المعنا

السنة السادسة

الجزء ٨

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك

ونشر للشرق مدينة الغرب وللغرب مدينة الشرق

نيويورك — ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٨ — شعبان سنة ١٣٢٦

خطبة وقصيدة

لصاحب الجامعة في أثناء رحلته

الخطبة لدى شلال * والقصيدة على جبل

الخطبة كتبها امام شلال نياغرا المشهور الرسوم في الصفحة التي تقابل هذه

الصفحة والقصيدة ابتداء في نظمها على جبل مونت نوم في

هولوبوك «ماس» وأتمها على خرير

شلالات نياغرا

١

الخطبة لدى شلال نياغرا

١١ سلاماً ايها الشلال . حدثني لاحتثك فقد جئتك من مكان بعيد

١١ لقد جئتك من البلاد الشرقية البعيدة التي سمعت بك وانت لم تسمع بها .

ولقد قرأتُ عنك فيها في صباي ما ادهشني فلما وطئت قدماي بلادك العظيمة
 هذه كانت زيارتك احدى امانى نفسي . ولما بلغتُ مساءً أمس بلدك المسماة
 باسمك وسمعتُ في الفندق صوتك يملأُ الفضاء لم استطع الرقاد مع ان الليل
 كان في منتصفه . وكان صوتك مع كونه شبيهاً بصوت أمِّهم في اذني
 طفلها لتنبه بهيج اعصابي في فراشي وينعما من السبات بدل ان يسكنها .
 وخيل لي مراراً انه يدعوني اليك وان لا اؤجل زيارتك ومصاغتكَ الى الغد .
 فنهضتُ الى ملابسي فلبستها وانحدرت في ظلام الليل الى الحديقة التي على
 شاطئك بين حبال الانوار الكهر بائية التي زينوا بها الطريق اليك زينةً تتجدد
 كل يوم بحمال وسلامة ذوق كأنهم يحتفلون بك احتفالاً ابدياً . ولما صرت على
 شاطئك في الحديقة بين اصوات قبلات العشاق في الحائل ولقنات بنات اميركا
 ليرين هل يرى احد تلك القبلات المسروقة من وجناتهن هبطتُ الى مائك
 بسرور ولذة لا مزيد عليهما كأنني هابط الى ماء أعظم من ماء الاردن وغمست
 فيك كفي اصالحك قائلاً : سلامٌ يا صاحب الماء

،، اي نعم سلامٌ وألف سلام . لقد جئتُ اسألك سرَّك العظيم . انا نعتبتُ
 ولم اتجاوز ثلث قرن وانت لم تتعب وقد تجاوزت مئاة قرون . فما السرُّ
 في ذلك ايها الشلال ؟

،، ولم يكن تعبني من الحياة وحياتك . فقد كنتُ تعباً منها من قبل حين
 كنتُ في زمن الشباب . اعني شباب الروح لا شباب الالهاب . اما الآن
 وقد بدأتُ افهمها (عفواً ولا تبتسم ان كنت تستطيع الابتسام) فقد اصبحتُ
 احبها كحب الانسان لشيء لا مفرَّ له منه فان حضر تمتع به وان غاب لم يسأل
 عنه وانما تعبتُ لانني اركض وراء شيء وهو يركض امامي

،، فلعلَّ هذا سبب تعبني بعد ثلث قرن وعدم تعبك انت مع انك ابن

مئات قرون

،، انت لا تركض وراء شيء ولا تطمع في شيء . مياهاك تجري من حيث لا تدري الى حيث لا تدري مندفعة بقوة الصواعق واصوات الرعود وهي لا تبالي بمصيرها ولا بما يصيبها أو تصيبه في طريقها . فلا غرض لك ولا غاية . واما انا فعم ان لا غرض لي ولا غاية اريد بالرغم من الطبيعة امةا جميعاً إيجاد غرض لي وغاية . . وهذا هو التعب العظيم . فهل انا طالب مستحيل ؟ أم غايبي لا تدرك الا بعد عناء طويل ؟

،، صعدت الجبال اطلبها . وهبطت الاودية اخطبها . واستوقفت في الاحراش نسيم المساء اسأله عنها . وناجيت أجرام السماء وسكان المدن والقرى استخبرهم خبرها . فوجدتهم جميعاً لا يعلمون . والآلهة الذين يعلمون ذهبوا فلا يعودون . انت عاصرتهم منذ الوف من السنين . فاخبرني هل أسرتوا اليك خبراً . وهل تعلم شيئاً مما سيجري ومما جرى

،، لما كان كهنة المصريين يحيطون هياكلهم بالاسرار ويسجدون فيها للآبقار . وموسى يقود شعبه في التيه . واسكندر يفتح المشرق والمغرب . ويسوع يحمل على مبادئ الكهنة المادية حملته المشهورة التي كوتهم في جباههم بنار ابدية . ومحمد يدعو الى السيف أو القرآن . وبوذه وكوفوشوش وبرهما يجتذبون اليهم أكثر من ثلثي بني الانسان . و نابوليون يقتحم اوروبا التي اتحدت عليه ليدوسها بسنابل خيله . والعلم والفلسفة بين كوت وقنت وسبينوزا وشوبنهاور وهجل وسبنسر ونييتش وروسو وديكارت وفولتير وباكون . ودارون — يضطربان . ورنان يئنسم لاقوال الجميع ابتسامته اليسوعية المشهورة ويقول بلفته البديعة ،، لكل مسألة وجهان “ — لما كان كل ذلك ايها الشلال كنت تجري كما تجري الآن ومما صراً لهؤلاء الاعاظم من بني الانسان . فقل لي هل بلغك ان أحدم

وجدت تلك الغاية المنشودة واليتمة المفقودة ؟ وهل أسراً أحد منهم اليك شيئاً من تلك الأسرار الهائلة التي لا ييوح بها الانسان لاحد غير نفسه ؟ حدثني لحدثك يا جدّ الارض وشيخها الاعظم . وقل لي ما علمت لاقول لك ما أعلم

، ولكن مهلاً ولا تصغ اليّ فليس ما أعلم بذني شأن وتكلم انت اولاً فللجسارة حق التقدم على الاقزام . اف ما احقر الانسان واصغره لديك وما اقبحه لدى جمالك . لقد جلست بجانبك ساعة انظر الى نفسي والى مياهاك الفضية فهممت ان اقلبي بنفسي فيك لآكون جزءاً منك . لاصقاً بك الى الابد لا انفصل عنك . ولكن انى لي ذلك . — تكلم اولاً يا شيخنا الناطق الصامت . فما لديّ شيء ؟ تافه ساقط

، وماذا عسى ان يقول لك ابن ثلث قرن يا ابن مئات قرون ؟ وماذا تستفيد من 'معاصر الصغار' يا 'معاصر الكبار' ؟ اسمع ايها الشيخ . اتعطيني كل ما في صخورك من الجداد الذي لا يحسّ وتصوغ لي منها أجد نفسي ؟ اذا تمكنت من ذلك قلت لك قولاً هائلاً يستحق ان يصغى اليه . . والا فلا تسلني الا ما أقدر عليه .

ليس هذا يجنب ايها الشيخ الشجاع ولكنه كراهة للالم وخوف من الانفصال عن العالم . انك انت تقدر ان تعيش في فراشك الرحب الجميل وحيداً فريداً كاله جليل . وما فتئت الآلهة تعيش وحدها . ولكن بني الانسان اجتماعيون طبعاً وتطبعاً . ثم هل انت تقدر على الخروج من مجراك وارتقاء الآكام التي حولك ؟ فكيف يقدر رجل مثلي على الخروج عن طريقه المألوفة لصعود جبل أصعب وأشد خطراً من آكامك

، أتذكر ايها الشلال يوم كان شاطئك مرتعاً لاولئك الهنود المساكين قبل

ان يصل اليك البيض وينتصبوا ارضهم هذه ظلمًا وعدوانًا . لا ريب في
 انك تذكره لانك كنت فيه معبودهم . فاولئك البشر السذج المساكين
 الذين كانوا يصطادون التمساح من مياهك وهم عراة الابدان تكسو الرياش
 رؤوسهم وتحمل ايديهم الفؤوس والحراة ويميشون بالغزو والسطو في قفرياب
 كانوا أسعد حالاً وأنعم بالآ من هؤلاء البيض الوافدين على شاطئك من جميع
 أقطار الدنيا وقد ملاؤهما بالمدن العامرة والمنازل الفاخرة والحدائق الزاهرة
 والمركبات الكهربائية والسفن البخارية وراحوا يتبحثون بينها تبخر الطاووس
 بشباب جميلة وشعور صقيلة . وصدقني ايها الشيخ ان اولئك كانوا أسلم طبعاً
 وأبعد عن الحبث من هؤلاء

١١ قد غيروا ارضك ومن عليها ايها الشيخ . وهم يظنون انهم حسنوها
 وحسنوك وجملوها وجملوك . وما جاهلهم الا كجمال المرأة الدمية : زخرف
 خارجي وطلاء سطحي . حك هذا الطلاء قليلاً فتجد تحته جيفة منتنة . اظني
 غير مخطئ ولا مسيء اليك ايها الشيخ اذا قلت لك انك كنت أجمل منك
 اليوم حين كان شاطئك ملجئاً للمتوحشين ومعتركا للأسود والنمورة ومسبحاً
 للذئاب والتاسيح ومرفصاً للدبة والقردة . فقد كان يومئذ جمالك وحشياً طبيعياً
 يقشعر له جلد التصور ويرتد عنه طرف الخيال مذعوراً . لقد كان يومئذ
 جمالك جمالاً حقيقياً . اما اليوم فقد أسروك كما تؤسر الاسود في الاقفاص
 وتعمل (فرجة) للناس . فأصبح شاطئك مرتعاً للذئاب ونمورة ودبة وقردة من
 جنس جديد لها طباع تلك ولكنها تمشي على قائمتين لا على أربع . ان روحاً
 مادية هائلة هبت على العالمين فضمضت المبادئ وزعزعت الشرائع وسحقت
 الاديان والآداب وسأقت الناس بمصالح الحادية الى مبادئ هائلة جعلتهم
 ذئاباً هائلة . فان الامم الآن تتعادي وتتسلح تأهباً لاقتتال أنفع من اقتتال

الذئاب . والشعوب يأكل في داخلها كبيرها صغيرها وقويها ضعيفها كما تفعل
اسماكك . فركنار يملك من المال الف مليون بينما ملايين من البشر يستعطون
الحبز الآن ولا يجدون . وهو يستخدمهم باجور تافهة لزيادة ثروته الملتخنة
بدمائهم وعرقهم وهم يسكتون ويعملون لانهم مضطرون . والسلطة في الارض ضعفت
وكادت تنحل . فان الناس اسقطوا العروش والملك ولكنهم اقاموا مكانها ملوكاً
لكل واحد منهم ملايين من الرؤوس (١) فقويت بذلك سلطة المشعوذين
والدجالين والجهلاء الناصحين الذين يتملقون الشعوب ويضآونهم كما كان
أخصناً الملوك يتملقونهم ويضآونهم . والافراد يتخاصمون ويتعادون ويفترسون
بعضهم بعضاً بأيديهم وألسنتهم وأقلامهم تنازعاً على (الرزق والسيادة) وقُبِحَ
هذا الرزق وهذه السيادة اذا كان لا يُبلغ اليهما الا بالرجوع الى وحشية
وهجينة أشد من الوحشية والهمجية الاولى . فاذا كان كل هذا هكذا ايها الشلال
فأين الارتقاء الذي يزعمونه ؟ وما فائدتك في استبدال ذئابك القديمة بهذه الذئاب
الجديدة التي لها طباع تلك ؟ وما هذا القبح الذي يدعونه جالاً ؟ من
أجل هذا صرخ حكيم مشهور (٢) قائلاً ، يا وحوش البر وافاعي الغابات
خذي بي اليك أكل من طعامك وأشرب من مائك فان صحبتك أهون على
الانسان من صحبة الانسان “

، كل متحمس لمبدأ أو فكر أو فضيلة أو فضل يُعد الآن بين تلك الذئاب
الجديدة ساذجاً مخدوعاً لاننا اصبحنا ولا فضل غير الفضة ولا مذهب غير الذهب
ولا كمال غير الريال . وبالله المدهش . فان المتحمسين القادرين المخلصين
للمبدأ والفكر يضطرون الى كتمان حماسهم وفكرهم وإخلاصهم لئلا يُرموا بتلك
التهمة وطلائب المنفعة المادية الجهلاء عاجزون المراوون ينادون على السطوح بالمبدأ

والفكر والاخلاص ويمدونها كشرِكٍ للاقتناص . اليوم يصرخ ايها الشيخ والبلبل يسكت . والناس لا يفرقون بين صوت البلبل وصوت اليوم . . . بل مبادئ الناس الواطئة اكثر موافقة لصوت اليوم منها لصوت البلبل . الناس لاهون بمعدهم وخزائنيهم وانانيتهم فلا تحدثهم عن شيء آخر . لان ذكر لهم الحياة العالية العقلية والادبية . ولا تستنزل لهم من الملائكة على همس الآلهة والملائكة . ولا تترجم لهم اصوات الطبيعة وعواطف النفس الجميلة . فان كل هذه لا تهمهم ولا تحرك اوتار قلوبهم لانها اصبحت لا تتحرك الا عن طريق (المعدة والحزنة والانانية) . ان الشراهة والجهالة والكبرياء قد اتحدت عليهم وطوّقت نفوسهم باسلاك من فولاذ لتربطها بتراب الارض منعاً لها من الارتفاع الى الآفاق العليا التي تعيش فيها النفوس العليا . فاخبرني ايها الشيخ الخبير من من الغريقيين هم الضالّون المخدوعون ؟ ومن يكون المنتصرون الفائزون ؟ افندي لاستفيد وافيد . وامزق ذلك القناع بيد من حديد

،، انني ايها الشيخ من امة صغيرة هجر كثيرون منها بلادهم الى بلادك طلباً للرزق والارتقاء . وقد بدأ كثير من تلك المبادئ الهائلة يتسرب اليهم في بلادهم قبل هجرتهم الى بلادك وزاد تسربها اليهم بعد هجرتهم زيادة هائلة . فقد كانوا يعيشون منذ ٥٠ سنة مع سائر الامم الشرقية بسداجة ودعة وتضامن وطمأنينة واحترام للنظام الاجتماعي بين الناس كما يعيش الطفل في سرير امه . ولما دخلت اليهم مبادئ قومك وبلادك تغيرت حالهم ونفوسهم كما تغيرت احوال جميع الامم الشرقية ونفوسها بعد دخول مبادئ قومك اليها . فافندي ايها الشيخ ما سألتك اياه لابلغه اليهم فنعلم جميعاً هل نحن على هدى أم ضلال وما هو الفث والسمين في تلك المبادئ . وثق انني لا اخشي في هذا البلاغ لومة لائم وان كان مما تضطرب له الشيوخ في القبور والاطفال في التائم . ولا

تخشّ التّقبيل عليّ ايها الشيخ فان حرفتي البلاغ ووظيفتي النشر . ومن سوء طالعي انني اتخذت هذه الحرفة سبيلاً لي في الحياة في بلادنا ولغتنا

، عفواً ايها الشيخ ولا تلمني لقولي (من سوء الطالع) فاني ما اردت ما ما ظننت . ان طيور السماء تكفني بقطرة ندى وحة قح ونحن طيور الخيال نكتفي بما نكتفي به طيور السماء . وهذه الطيور تعيش بسلامة جسماً وروحاً في اصغر بقعة جدياً كما تعيش في الرياض الفيحاء وتفرّد بانعام سماوية في تلك كما تفرّد في هذه . فما اردت بكلامي الكسب المادي ايها الشيخ وإنما اردت الكسب الادبي . ان صناعتنا شقيّة في بلادنا ولغتنا . ومن (طلبها لذاتها) محرم لذاتها وجميع الذات . فهو يضطر في سبيلها الي مسالة الفساد . والاغضاء عن أهل الاوهام والخرافات والاستعباد . ومعاداة الاصدقاء ومصادقة الاعداء . والخلطين الكرام والغوغاء . وتسمية الانحطاط ارتقاء . وروية الجهل سائداً والسكوت عنه . والحق ضائعاً والابتعاد منه . واذا جاشت في النفس تلك النار التي توقدها الالهة في بعض النفوس واضرمت الغضب المقدس في الصدور والروؤوس وحركت اليد لاستنزاع صواعق الفكر على الطروس — سكن العقل الجاف البارد تلك الصواعق قبل وقوعها بالابتسام وعدم المبالاة . وقال للنفس الغضبي (اياك والسذاجة والغرور) وأنشدها ذلك القول المشهور : ، مكانك تحمدي او تستريحي “ فتصبح النفس وفيها ما في مياهاك . بعضها في المرتفع ثائر هائل كثورة شلالاتك غالر غليان امواجك يطلب السدود والحواجز والعقبات لكنسها بقوته كنساً فلا تجترئ الجبايرة ولا الالهة على الدنو منه . وبعضها في السفح على الشاطئ هادي ساكن كأنه ماء في بركة تلعب بجانبه الاطفال وهو بها غير مبال . وبين ذاك الهياج وهذا السكون قوة الالهة ايها الشيخ وآلام المنون

١١ انت قوي وتستطيع الثبات على هذا السكون والهياج معاً . وانما مزيتك العظمى وقوتك الكبرى ثباتك هذا . فثبتنا في ثبات كسباتك . انك ايها الشيخ لو انقطعت عن الجريان منذ عام . أو مثله . أو الف لكان نياغرا الآن في خبر كان ولضحك منك الامازون والمسيبي بل النيل والدجلة ضحكاً ملاً السهول والوديان . فيا لهذا الثبات العجيب مدة الوف من السنين . كل شيء في الحياة حولنا نحن معاشر البشر يتغير ويتغير . اصدقائنا يموتون . واحبابنا يسلمون . واجدادنا وآبائنا وابنائنا يذهبون . واعدائنا يعادوننا بسبب وبلا سبب ولا يعودون . وامم تنقرض وامم تقوم . والاسافل يستعلون . والاعالي يسفلون . والاسلاطين على العروش يرتعدون . وكل شيء في الارض يتزعزع ويتضعع حيناً بعد حين حتى المبادئ التي خلناها ازلية ابدية بل حتى الارض التي نمشي عليها يوم تزلزل زلزالها وتخرج أثقالها . نعم كل شيء يتغير الاك . فبارك الله في عظمة ثباتك وحياتك وبياتك

١٢ يا روح نياغرا والاهة مياهه : بعيني قد ابصرتك . وبعد هذا اليوم اصبحت اعتقد ان لك نفساً كنفسي . ولست اعني بهذا مسألة الخلود فانت خالدة كما دل على ذلك تاريخك . وقد استدلت عليك حين صاغت ماءك بغمس يدي فيه وتجلت لي بين رشاشه المتطاير كالغبار امامي قوس قزح بديع . يا لذة الحياة العقلية الكبرى حين رأيت قوس قزحك هذا كأن نفسك تنصب ضمنه للترحيب برجل جاءك تعباً ملولاً متألماً الضمير ولا يعزيه في الدنيا لذة او جمال غير جمالك وجمال امثالك . انني بعد ان رأيت هذا القوس وسمعت على الاثر هدير الهائل كأنه طبول بعيدة تضرب ووقع في اذني تغريد العصافير في أشجارك ورأيت الازهار تتمايل على شاطئيك وحولها الفراش يطير ويقع ومائك بينها كلها مسرع تحت الجسر الى حيث لا أعلم ولا هو يعلم — خيل لي برهة لغروري

ودهشتي ان روحك حية حاضرة في هذا الاحتفال الطبيعي العظيم وقد اقامته
استقبالاً لي ورداً لتحتي واستعداداً لاجابة طلبتي . ولكنني لما رأيتُ في
اشجارك السنجاب يصيح وهو ساكن على الفصن ينظر اليّ وصوته شبيه بصوت
الضحك ضحكاً مستتراً . والغراب على الشجر البعيد ينعب نعيماً شبيهاً بانين
الشكلي وبكاء الباكي جهراً . وقفتُ حائراً امامك استنطقهما واستنطقك إذ
خيل لي ان ذلك الضحك والبكاء انما هما ضحكٌ من حجتي اليك اطلب
سراً وغاية حيث لا سرّ ولا غاية وبكاءً على آمال الصبي الذهبية والاماني
الساوية التي خلتها ابدية واذا بها كالسراب جميل في العين ولكن لا أثر له
ولا عين . وبين الامل في روحك المتجلية في قوس قزحك والياس لضحك
سنبابك وبكاء غرابك اطرقت على الجسر امامك ولبثتُ صامتاً ولم يبقَ
حينئذ في نفسي لذة ولا ألم . ولا ياس ولا أمل . اذ هي كادت تصبح
جماداً كجمادك

اي نعم ايها الشيخ الذي ما عضّه ناب الهرم وان كان قد طال عليه
القدم ستبقى على مرور الزمان (حجاً) لبني الانسان كما كنتُ حتى الآن .
فسيأتيك جمهورهم من بعدي كما جاؤوا قبلي ما دامت الارض أرضاً والسماء سماء .
ومنهم العاشق عشقاً شرعياً يتساقى هو وعروسه في شهر العسل في الفنادق
المشرفة عليك كؤوس سعادة وفتية . ومنهم العاشق السارق يجعل ظلال
اشجارك على شاطئك في ظلام الليل مخبئاً لسرقاته . ومنهم سياح لا صناعة
لهم غير السياحة بل لا صناعة لهم ولا عمل أصلاً لانهم من أهل الترف
والكسل والبطالة يقصدونك لقتل أوقاتهم لان غيرهم يتعب ويعمل لهم ولا
يفهمون منك غير جريان مياهك . ومنهم جمهور متوسطي العقول الذين سمعوا
بانك جميل عظيم فاختلسوا فرصة من أوقاتهم وساروا اليك مع السائرين والتهوا

بالملاهي الصبانية التافهة عن جلالك وجمالك . ومنهم الحزين أو المنكوب أو
التعيب من الحياة أو جريح القلب جرحاً ابدياً بكارثة من كوارث الدهر الغادر
والزمان القاهر يحى اليك وهو يجر ذبول آلامه التماساً للقوة في ظلالك وطلباً
لتبريد نفسه المتقدة بشيء من رشاش مائك . ومنهم (وهم المتأخرون المقدمون)
جمهور أهل الفكر يزورونك كزيارة الكاهن الهيكل ويقفون عندك يستنطقون
آثارك ويستجلون أسرارك ويسألونك أخبارك ويذكرون ويتذكرون . وانت
يا أيها الشيخ الجائر تردّ (هؤلاء) الى بلادهم جامدين صامتين متبضين لانك
لا تفتح لهم خبايا أسرارك واما جميع (اولئك) فتردّهم فرحين نشيطين
معجبين . فلا تحالف الزمان على خياره وخيارك

ولقد طفت في ربوعك وحادثتك وسألتك فلم تجب وها انا عائد عنك .
فوداعاً ايها الشيخ . تذكّر في المستقبل رجلاً جاءك من أقصى الشرق وأجال
في ضفتك مزيجاً غريباً من روح الشرق والغرب ممزوجاً في نفسه وأفكاراً قد
تسأهل الاهیال وعدم المبالاة ولكنها لا تسأهل الضحك والهز . واذا هزأت
بها فاهزأ فقد هزأت قبلها بالدهر وضحكت من الزمان . ولكن قبل ان تهزأ
تذكّر انها نتيجة تأثير قومك وأجداد قومك . فنحن تلامذتكم في الصغائر
كما نحن تلامذتكم في الكبائر . صدقني ايها الشيخ . غير مجراك واذهب الى
بلادك . فهناك تجري خاملاً مجهولاً لا يعكّر ماءك ذئاب قديمة او ذئاب
جديدة . ولا يستأسرك الناس ليجعلوك (فرجة) والعبوة بل تعيش على هواك معيشة
الخول والسلامة بعيداً عن الناس . هناك تسمع حفيف أشجار الارز وتهب
عليك ريح الاهرام وينبت زنبق البر على شاطئك . واذا مرّ بك اتفاقاً
بعض الناس مروا باحتشام . ولا تسلي ايها الشيخ لماذا اتيت منها الى بلادك
اذا كان هذا حال بلادك فلتقادر أحكام

٢

القصيدة على الجبل

﴿ الشعر على الطريقة العلمية ﴾

بين نييتش وتولستوي
في وسط اتحاد الولايات المتحدة

عجّ بالجبال ولا تعجّ بالوادي ان شئت رواية هذه الامجاد
واركب لها قطار البخار فقد مضى عصر النياق وصوت ذاك الحادي
العيس بادت والطلول عفت وما يلفى لها من نادبٍ أو هاد
واطلب اليها (١) ان تطير ولا تقل مهلاً فانك سائر (بفؤادي) (٢)
الوقت مالّ والزمان زمان ركض لا زمان تختّر ورقاد
وتلاعب في (الوقتين) و (حومل) (والسقط) أوفي التدب والتعداد (٣)
الوقت وقت إرادة صماء تصرع كل معترض سبيل جهاد
هذا كلام نييتش ان نييتش كان مقوم الموج والمنئاد
في زعم بعض الناس اما مذهبي فيه فابقيه الى ميعاد

* * * *

ولقد صعدت الى الجبال أرى الورى واقيس حالهم بحال بلاديه
فبدت لي (الارض الجديدة) (٤) مثلاً تبدو المدينة من ذرى المنطاد
وتمثّلت لي بين اتلاتيكها ذاك العجاج وبين ذاك، الهادي (٥)

(١) الى قطر البخار (٢) هو من شطر مشهور للفارص يستعمل فيه الابل
والحادي لانها سائرة بجيبه (٣) الرقتان وحومل والسقط اما كن في بلاد العرب مشهورة
في اشعارهم (٤) الارض الجديدة اميركا وبالاخص الولايات المتحدة (٥) الهادي
هو الاوقيانوس الباسفيكي وترجمته بالعربية الهادي

كعوالم من غير دنيانا بدت
 شعب عظيم هائل متفرق
 مدن كما انتشرت نجوم القبة
 والله لا ادري أسهل ان أعد
 أم ان أعد شعوبه (٢) - وكلاهما
 في الشرق بيروت وقاهرة ولكن
 في الشرق لبنان وحيد إنما
 في الشرق أرض قدست بنبوته
 وهنا أراض قدست بالالهة ال
 هذي شرائعنا الجديدة فانظروا
 شرع جديد (٤) لست أزعم انه
 لكنني لا استطيع اذا رأيت
 ونظام عيش الناس فوق سهولة ال
 ووداد اقوام يوالف بعضهم
 أن انكر الشمس الجلية في الضحى
 أو شرع ذاك المرسَل (٧) الغازي الذي
 أو شرع ذاك الصالح (٨) المقطوع في
 مات (القديم) فكفّنوه فما له
 الارض تحتاج (الارادة والعزيمة والنشا

تزرع بيابل أو بذات عماد (١)
 في واسم الاغوار والانجاد
 الزرقاء أو كالرمل في التعداد
 بلاد هذا الشعب عدّة سدّاد
 صعب وفيه حيرة المتراد
 كم هنا تلقى (٣) من الانداد
 كم ههنا من شامخ الاطواد
 ظهرت بها قدماً وغاب الهادي
 حرية القصوص وهدى باد
 آثارها يا معشر الزهاد
 أبهي وأجل من شرائع عاد (٥)
 جميله في البر والاسعاد
 بكسب الجزيل وأمن كل معاد
 بعضاً بلا ضغن ولا أحقاد
 واقول خير الشرع شرع القادي (٦)
 ملاء الورى قسطاً وحسن اباد
 حرش يسائل ربه وينادي
 ما بيننا من رجعة ومعاد
 ط) وليس وهم الدين والارشاد (٩)

(١) هي ارم ذات العماد المشهورة في التقاليد الاسلامية التاريخية (٢) في
 الولايات المتحدة اجتمعت جميع شعوب الدنيا من اكبرها الى اصغرها (٣) اي هي تلقى
 (٤) مقابلة بين الشرائع المدنية الجديدة والشرائع الدينية القديمة (٥) اي الشرائع
 الدينية القديمة كقدم ثمود وعاد (٦) المسيح (٧) محمد (٨) بوذه (٩) كل
 ما يلي مقود من فلسفة نيبش حرقاومعني لخصناه لبسط المذهبين. وناقل الكفر ليس بكافر

فبها ارتقت هذي البلاد وانها
هذا كلام نيتش ان نيتش كان
في زعم بعض الناس اما مذهبي
كل تمدر وبلاد
مقوم المعوج والمنهاد
فيه فابقيه الى ميعاد

ذا الشرع (قال نيتش) حل عزائم
رفق مساواة اخا رحمة
هذي شرائع ضد كل غريزة
شقيت بها الامم التي اتبعت مبا
فيها نصير الارض مستشفى رحيب
اذ يصبحون وكلهم اما مريض
فكانها كانت لجمهور الاتام

الانبناء والاباء والاجداد
حب الورى حتى العدو العادي
حيوية ومبادئ استعباد
دنيا وذا أثر الشقاوة باد
آ والورى في ظلمة وسواد
او ممرض ذي ضنى وسهاد
كقائل يفنيه او جلاد

بيننا ترى القلب السليم ملازماً
يستضعف الطبع القوي لجملة
متجافياً عن كل ما يؤذي الاتام
حتى بيت (وكان من اقوى الرجال)
تجد الغليظ النفس من قد حاد
مستقبياً في نفسه قواتها
ولذاك نعم في الحياة ويسبق
قد اصبحت نفسي تعاف شرائعاً
وبضدها يعتز كل صغير نفس
وبها يتاجر (ذاك) من لبس السواد
يا ليت في نفسي قوى كقوى اله
من يعبدون وانما معبودهم

تعليمها بسذاجة وعناد
لسمومها في غاية استعداد
وسالكاً فيهم سبيل رشاد
كانه ولد من الاولاد
عن تعليم ذاك الشرع كل حيا
مشحونة لتنازع وجهاد
الاقران في الميدان سبق جيا
تشقى وتفتي نفس كل جواد
أو عديم الحس مثل جماد
كما باحقر سلعة أو زاد
كي ائيد شرائع العبادة
اهواؤهم لا واحد الاحاد

وبذي العبادة 'يهـاكون قوى النـفـه
هـذـي جـهـنـمُ في الحـقـيـقـة لا الـتـي
وس ويضعفون غرائز الاجساد
ذـكـرتـ بانجـيـلـ وبـالـاـوراد (١)

اما المساواة التي تدعونها
كيف السواء اتحسبون الناس قد
في قالب مصبوا فكان جميعهم
ان المساواة التي تبغونها
فبها تذلل قوى الاولى امتازوا ومنه
وبها يساوي بين أعظم من مشي
يا ضحكة العقل السليم وهزأ أهل
فضلاً وخيراً فهي شرُّ فساد
صنعوا كصنم حدائد الحدائد
متاثلاً ككمبارد البرراد
ظلم لكل فتى رفيع عماد
هم 'يرتجى خير' ونفع عباد
فوق التراب وأحقر الاوغاد
الفهم من ذا الجهل والافساد

من ثم قلت ان (حب الذات)
مع ان هذا الحب أصل رقي لكل
ان قيل يوماً قد ذوى في امة
ما فيهما من (اثرة) فقل السلام
هذا كلام نيتش ان نيتش كان
في زعم بعض الناس أما مذهبي
شرُّ مستطير هادم الامجاد
جماعة ونشاطها الافرادية
وكذلك في فرد من الافراد
عليهما فالويل بالمرصاد
مقوم الموعج والمنشاد
فيه فابقه الى ميعاد

* * * * *

حمل الهواء الى صوت نيتش هذا
من فندق فيه جعلت حقيقتي
اذ في الحقيقة سفره المشهور باب
فيه يصبح كضغمة مستأسر
وارداً من صوب ذاك الوادي
ولسان ذا الاستاذ فيها شاد
دا الظلام (٢) وكل سطر مداد
يرغي ويزبد ايما إزباد (٣)

(١) الاوراد آيات القرآن (٢) هو كتابه «ابتداء الظلام عند الاصنام»
(٣) كتابة نيتش مشهورة بكونها غاية في الحماسة والحدة والشدة لان موضوعها تنازع
مبادئه ومبادئ من تقدموه

فطردت صوت نيتش عن سمعي لا تمتع ناظري ومسمعي وفؤادي
بجمال ما حولي من الآثار من صنع الطبيعة أو صنيع أياد (١)
وإذا بصوت هائل يدوي كما تدوي العود قواصفا وينادي

— أنيتش مهلاً لي اليك رسالة ضاقت بها نفسي وضاع رشادي
فدعرت ثم بحثت اطلب صاحب الـ صوت الرهيب فلم أجد من باد
الا كتاباً كنت قد اودعته في جاني في الحرش كالمتاد
عنوان هذا السفر (بعث) (٢) وهو من تأليف «ناستوي» العظيم الهادي

فرايت في ذا السفر كل صحيفة تهتز من شيء كجنح حمام
والريح ساكنة فخرت بأمره وحسبني في عالم الاعلام
ما كنت ادري ان روح عزيزنا تلتوي قد حلت به قدامي
ولذلك تضطرب الصحائف مثلما اضطرب السياج بسالف الايام
لما بدا فيه لموسى ربّه في شكل نار غير ذات ضرام (٣)
فعلمت ان الصوت صوت حكيمنا تلتوي فارتعدت جميع عظامي

يا فرحة الدنيا وسعد فتى رأى رأي العيان أكابر الاعلام
وتوجت في نفسه اصواتهم كتموج النسمات والانغام

افدي بايام الزمان جميعها ساعات يوم كان فيه امامي
علامة الالمان والعلامه ة الروسي في هذا الجدل السامي

(١) ان الشركة التي تدعو الى زيارة هذا الجبل في اعلاناتها ومطبوعاتها تقول انه ممتاز بالجمال «الطبيعي والصناعي» (٢) هو كتاب «البعث» المشهور (٣) اشارة الى ما جاء في التوراة عن ظهور الله لموسى في العليقة بشكل نار لا تحرق

لا برلمانات الورى في العرب
لا عصر ميرابو وذيموستين او
كلا ولا فردوس ملتن والجهيم
حتى ولا فوق السماء وتحتها
يوماً دوى فيها جدال هائل
واليونان والرومان والاعجام
جوريس او غمبت ذي الالهام
جعيم دنقي صاحب الالهام
مما دنا او شاسع مترام
كجدال ذا الضرغام للضرغام

مستقبل الانسان والدنيا جميعاً
كان في هذا الجدال الحامي

— أنيتش (قال الفيلسوف) قد استمع
أنظن ما قد قلته علماً جديداً
شيء قديم ما ذكرت لو انتبه
اذهب الى الغابات حيث الناس
ف هناك تلقى الناس يتبعون شرع
لا شرع عندهم سوى ما ألفوا
فقويهم ياليت عين نيتش تنظ
بنشاط ذئب فارس وعزيمة الاس
وضعيفهم يعنو بذلك للقوي
أمثل هذا يانيتش تريد ارج
مرت قرون والنوابغ يتعب
وتريد انت الآن هدم بنائهم
تعليمك المقوت يدفع للورا
ثم انبرى 'تليستوي يشرح ضدّ ذا
تعليم أديان الوري ومبادئ الخ
وعماده الانجيل والتوراة والقرآن
ت غريب قولك فاستمع لكلامي
لا وحق العلم والعلام
ت ولم تكن بالمبهر المتعالي
ما زالوا كمثل سوائم الالهام
نيتش طبق اصوله بتمام
من قوة وحشية وخصام
ر دوسه فوق اللهى والهام
د المصور وحدة الصمصام
وان تمرد ديس بالاقدام
اع الوري في عصرنا البسام
ون لجذبنا من ذا البلاء الطامي
مهلاً نبي اواخر الايام
عمران هذا الارض لا لالمام
التعليم شرح معالم علام
ب الجليل وكل فكر سام
والفيدا بعذب كلام

واذا أردتُ بيان كل مقالة طال القصيد كطول شهر صيام

لما شفى 'تلاستوي غلّ' فؤاده من خصمه والشمسُ في الآصال
سكن الكتاب لان روح حكيمنا قد فارقتهُ للفضاء العالي
لم أدر هل صارت الى ما فـوق أم عادت لجسم الفيلسوف البالي
جسمٌ كأجسام الشيوخ وانما فيه جمال سداجة الاطفال

ساد السكون هنية لكننا من بعدها هبت رياح شمال
حملت اليّ من الجبال وشاسع الآكام والوديان والادغال
اصوات طير الجو والاحياء طراً تستغيث برهبها المتعالي
لم تستفد غير (التحير) منها (١) فجميعها أمسى ،،أبا مرقالـ“ (٢)
ونفوسها ذابت أسيّ يا ليتها ظلت كما كانت من الجمال . . .

ثم انحدرتُ لفندي من قمة الجبل ل الرفيع لكي أشدّ رحالي
وحلفتُ اني بعد هذا اليوم لسـتُ بمرتقـ جبالاً من الاعجاب
فالمكثُ في ظلمات وادٍ باردٍ خيرٌ لمن يهوى فراغ البال . . .
وذكرتُ حينئذ مقالة شاعرٍ ،،السيلُ حربٌ للمكان العالي“ (٣)
فرح انطون

(١) أي من كلام نييتش وكلام تولستوي (٢) اشارة الى البيت المشهور

فاضاع مشيته واخطأ مشيها ولذلك سموه أبا مرقالـ

(٣) هو شطربيت مشهور لعله لابي تمام او البحثري . ولما أنشده فائله وقف بمدوحه

إجلالاً لهذا البيت . ولا تخفى بلاغته كما لا تخفى مناسبته لهذا المقام

الناس اربعة

من هم قادة العالم

وذوو النفوذ

كيف تجعل الناس يتهيبونك

الناس لك اربعة

رجل تهيبه حين تستقبله وتظل تهيبه بعدئذ

ورجل لا تهيبه وقد تستضعفه حين تستقبله ولكن لا تلبث بعد عشرة قصيرة

ان تستقويه وربما تضطر ان تهيبه

ورجل تهيبه حين تستقبله ولكن بعد عشرة قصيرة او طويلة تزول هيئته

من نفسك وربما حملته على ان يتهيبك

ورجل تستضعفه مذ تستقبله وتحمله على ان يتهيبك دائماً

الطبقة الاولى

قادة الامم

اما الاول الذي تهيبه أولاً وآخرأ فهو العظيم النفس والجسد معاً . وعظمة

نفسه مقرونة بالذكاء الطبيعى وقوة الجنان . وعظمة جسده مقرونة بالملاح

الحادة — أي ان اخلاقه جليّة في عينيه وسحته

ويمتاز هذا المهور بقوة ارادته وتنبيهه وتيقظه وحدّة ذهنه . ويكثر عناده

في الامور ولا تندر اصاله رأيه وحكمته . فكانّ القوة والفهم مجتمعان فيه . فاذا

لم تكن مساوياً له فيهما سطا عليك من اول وهلة واستضعفك واضطرت ان تهيبه

هذا الصنف من الناس اسبق الاصناف الاربعة الى قيادة الهيئة الاجتماعية

واستلام مقاليد الامور واكثرها نفوذاً وسوء دأ . ويغلب ان يكون ذووه مديري

الاعمال المسيطرين وندر من يستسلم منهم لسيطرة حتى ولو كان مروّساً
وهم لا يبتغون المال لاجل المال بل لكي يستخدموه للنفوذ والاستقواء . وربما
كانوا اكثر استقامة من سواهم لاعتمادهم على قوتهم . على انهم قلما يرثون
للضعيف وان فعلوا فلسياسة غالباً لا دائماً

ولا ريب انهم هم العنصر الالهم في الاجتماع الانساني وربما كان رقيه متوقفاً
عليهم حتى اذا كثروا فيه كان اسرع رقياً

وهؤلاء هم الذين نقول ان السعد خادهم اذ نرى ان الامور موقفة لهم .
والحقيقة اننا لا نشعر بان نفوذهم يقود الامور حسب رغبتهم . لانهم بما لهم
من الهيبة يسطون على العناصر الاخرى العاملة في الاجتماع و يجعلونها كآلات
في ايديهم . فتلك العناصر تعمل مملاً لمصالحهم . فهي بحسب الظاهر تعمل
متبينة والحقيقة ان صاحب النفوذ يفكر ويريد والعناصر العاملة تنفذ ارادته
لا ارادتها فتتفق طبعاً ولهذا نرى الامور موقفة لهم

الامير بشير الشهابي و نابوليون

من الامثلة على هذا الصنف من الانام الامير بشير الشهابي فقد كان
عظيم الهيبة جداً حتى ان خبره كان يلقي الرعب في كل لسان . ويرى عنه
انه لما استقدم كأسير الى الاستانة ودخل على مجلس الوزراء وقفوا له في
الحال وبعد ذلك خجلوا من انفسهم لوقوفهم لاسير لهم واتفقوا على ألا
يرتكبوا هذه الغلطة بعد . ولكن لما دخل عليهم ثانية لم يشعروا الا وهم
يقفون اجلالاً له

ومن هذا الصنف ايضاً نابوليون الاول ولكن كانت عظمة نفسه اغلب
على عظمة جسده خلافاً للامير بشير ولهذا كانت له هبة ومكانة في نفوس
جيشه لم تكن لسواه فكان جنوده يطيعونه الطاعة العمياء كأنه هو ارادتهم وهم
اعضاء جسمه التي تنفذ تلك الارادة

ويحكى عنه انه لما عاد من جزيرة ألبا التي كان قد نفى نفسه اليها كان كلما دخل الى بلدة فيها في فرنسا ينضم اليه جيشها مع ان الحزب الملكي يكون قد اقام الجيش لكي يرد نابوليون على اعقابهم . ولما وصل الى غرينوبل استقبله نحو ٦ آلاف جندي ولم يكن معه حينئذ الا القليل من الجنود فاستوقف جنوده بعيداً وتقدم وحده الى ان قرب من جيش غرينوبل العائد الى مقاتلته . ثم ترجل عن جواده وتقدم الى تلك الصفوف وكان قائدها قد أمرها بتصويب بنادقها واطلاقها على نابوليون بحيث انها لو اطلقت عليه لبذرت في الهواء هباءً منثوراً . على ان نابوليون كتبت الجنان فلم يهب . فبقي متقدماً حتى تصوبت البنادق اليه فقال بصوته الجهوري :، انا نابوليون قائدكم . فهل تقتلون قائدكم ؟، وكان القائد عند ذلك قد أمر باطلاق البنادق فبدل ان يطلقها الجنود نكسوها الاً بنديقة واحدة بقيت مصوبة اليه . وكأن الجنود صموا آذانهم عن اوامر قائدهم وفتحوها لصوت نابوليون . ثم تقدم نابوليون الى البندقية التي بقيت مصوبة نحوه وقال لجندتها :، أقتل قائدك ؟، فاجاب الجندي :، انها يا مولاي فارغة، وسلمها اليه لكي يتحقق قوله

ولا ريب ان المستر روزفلت والامبراطور غليوم وامثالهما يعدون من هذا الصنف من البشر متفاوتين في الهبة والنفوذ والفاعلية

الطبقة الثانية

من ذوي النفوذ

اما الثاني الذي لا تنبيهه بل قد تستضعفه حين تستقبله ولكن لا تلبث بعد عشرة قصيرة ان تستقويه ولا يبعد ان تضطر ان تنبيهه — فهو العظيم النفس دون الجسد وعظمة نفسه مقرونة بالذكاء الطبيعي وقوة الجنان ولكن ليس في ملامحه ما يدل على تلك العظمة بجلال وقل ان تشعر بمجدة في عينيه وهو كالآل من حيث قوة الارادة والتنبيه واليقظ وحدة الذهن والعناد

في الامور وإصالة الرأي والا فلا يتسنى له ان يصبح ذا سطوة وهيبة وسيطرة
وانما يختلف عن الاول غالباً بالدهاء واستعمال الحيلة لانه يعتمد على قوة
عقله اكثر من قوة فراسته . وقد لا يقل عن الاول في قوة جنانته وجراته
ويغلب ان يكون اصحاب الدسائس والمكايد من هذا الصنف . واكثر
اهل السياسة ومديري دفة الاحكام ومديري الاعمال الكبرى من متاجر
وشركات الخ انما هم من هذا الصنف من البشر

هوؤلاء هم الذين كلما عرفناهم ازدادنا تهيّباً لهم لاننا نشعر بقوة ارادتهم واصالة
رايهم ورسوخ كلمتهم وثباتهم على مبادئهم وجهادهم في تنفيذ ما رايهم
قد يمكن ان يكون منهم ابو الهدى الصيادي الرفاعي الذي كان صاحب
النفوذ الاول في المايين الهايوني . وربما كان بسمرك من هذا الصنف ايضاً .
وكثيرون من اصحابنا المحنكين يعدون منه ايضاً . وهذا الصنف اكثر عدداً
من الصنف الاول

الطبقة الثالثة

النافذون بالتهويل

اما الثالث الذي تتميّه حين تستقبله ولكن بعد عشرة قصيرة أو طويلة تزول
هيئته من نفسك وربما حملته على ان يتهيبك — فهو الذي تنحصر قوته في ملامحه
ومظاهره الخارجية واما دماغه وجنانه فصغيران . هو الذي يغشك مظهره
ويفضحه مخبره

روي ان رجلاً كهذا زار يوماً كبيراً من كبراء لبنان في أحد الاعياد .
وكان عامة الناس يتوافدون على الكبير ويمثلون بين يديه ليهنئوه . فكان الذين
لا يعرفون ذلك الذات العظيم ينحنون امام زائره الذي تقدمت الاشارة اليه
لظنهم انه هو السري الامثل صاحب الدار لما رأوه من مهابته وعلاء طاعته حتى
اذا عرفوا انه من طبقتهم خجلوا من انفسهم . وكان الذات يتميز غيظاً من

جرأً ذلك حتى انه اوعز اخيراً الى ذلك الرجل ألا يزوره وهو في ثوبه
الانيق تحايداً لمثل هذا الغلط الفظيع

وكثيرون من اهل هذا الصنف من البشر الذين يغشك مظهرهم اذا كان عندهم
قليل من الجرأة والاقدام والحزم استطاعوا التمويه والتحويل وظلوا في عيون المحيطين
بهم من السذج نافذين معظمين ومتسيدين مع ان رؤوسهم فارغة وقلوبهم ضعيفة
ويكثر في هذه الطبقة المغرورون الذين لا يدرون بغرورهم ولا يعرفون
اقدار انفسهم فيتبعون غرورهم ويهولون على بسطاء الناس فيجوز تهويلهم .
ولا يندر ان يكونوا من ذوي الدعاوي الفارغة ولكن مظاهرهم تؤيد دعاويهم
في نظر الساذجين فينخدعون بهم

كثيراً ما نرى من هؤلاء المدعين وهم ليسوا في العير ولا النفير ولا
يملكون من رأس مال المعرفة شروى تقير ولكنهم يموهون على عامة الشعب
ويتسيدون عليهم ويفنمون من ثمار اعمالهم مجاناً بلا استحقاق

الطبقة الرابعة

المنقادون

اما الناس الذين تستضعفهم منذ استقبلهم وتحملهم على ان يتهيبوك دائماً
فهم معظم العامة المنقادين الذين يكونون آلات في ايدي ذوي النفوذ والجاه .
وهم الذين تعرب خلياً ملامحهم ومظاهرهم عن صغر نفوسهم وادمغتهم وارادتهم .
ويكادون يكونون عديمي الرأي ولا ثقة لهم بانفسهم ويتنظرون من يتسيطر
عليهم ولا يكادون يحسنون عملاً بلا مدرّب يدرّبهم

التهيب نسي

هذا بيان اجمالي لطبقات الناس بنسبة بعضهم الى بعض من حيث التهيب
على ان الافراد يتنازعون النفوذ والهبة واقواهم جناناً أسبقهم الى الفوز والتسيد
والنفوذ . ولكن قد يكون لمعرفة هذه الحقائق شأن في الفوز وسطوة الواحد على

الآخر . فاذا اجتمع اثنان من طبقة واحدة من الطبقات السابق وصفها فاسبقهما الى التأثير والسماوة والاعتصام بهيئته الشخصية يتغلب على الآخر ويضطره الى تهيبه

وهذه هي سياسة بعض الناس ولا سيما الذين ليس لهم رأس مال كافٍ من الفهم الحقيقي في التغلب على غيرهم فانهم يبذلون جهدهم منذ اول مقابلة ان يوثروا على الذين يجتمعون بهم تارةً بالتشامخ واخرى بالانفة وحيناً بالدعوي والابهام بالجاء وطوراً بالقحة والجساسة الى غير ذلك مما يصورهم في عين محاضريهم شيئاً عظيماً . ولكن لا يندر ان تنكشف حقيقة جوهرهم بعد حين فتخط مكاثرهم واذ قد عرفت كل ذلك يسهل عليك ان تفهم كيف تسلك مع الناس . فلا تستسلم لهم ولا تحكم على مركزهم ومقدار نفوذهم قبل ان تعرف جوهرهم ولا تهول عليهم وقوه على عيونهم اكثر مما يحق لك لئلا يخطوا من مقامك متى عرفوا جوهرك . فاجتهد ان تعرف قدر نفسك وقدر غيرك معاً . واعط نفسك حقها وغيرك حقه

نقولاً الحراد

استلفات نظر

نحن الآن في الثلث الاخير من السنة فاذا كنت ايها المشترك الكريم لم تدفع قيمة اشتراكك بعد فحتى متى تتأخر وانت تعلم ان الادارة تدفع كل نفقاتها سلفاً فحسبك ان تمهلك اشهرًا بقيمة الاشتراك الزهيدة . فارجو من جميع المشتركين الكرام غير الدافعين في الولايات المتحدة وكندا والبرازيل والارجنتين وسائر البلاد الاميركية وفي مصر وسوريا على الخصوص ان يتفضلوا بارسال بدلات اشتراكاتهم على الفور ولهم الفضل وهنا نحث حضرات الوكلاء الافاضل الفيورين ان يبذلوا جهدهم بجمع الاشتراكات ولهم الشكر سلفاً

اصلاح تركيا

تاريخه وماهيته وتأثيره

وروح ابطاله

الالسة تلمح بالدستور الجديد والافكار حائمة حوله واهوية المجالس العمومية والخصوصية تنموح باللغظ فيه فلا يليق بمجلة الجامعة ان تقع بين ايدي قرائها وهي خالية من الابحاث اللازمة بهذا الموضوع وأهمها تاريخ الاصلاح في تركيا وماهيته والمراد منه سابقاً وحاضراً وتأثيره والله المستعان

نبذة أولى

فذلكة تاريخية في القرن الماضي من حكم محمود

حتى بدء حكم السلطان

عبد العزيز

هلاً هلال القرن الماضي على الدولة والملك في قبضة السلطان سليم الثالث المصلح فانه تولى السلطنة ١٨ عاماً بدأها بمتابعة الحرب التي كان السلطان عبد الحميد الاول قد اوقد نارها مع الدولتين الروسية والنمساوية وختمها باعلان الاصلاح العسكري العثماني الذي دعاه المؤرخون بالنظام الجديد وأدعى الى استياء اجواق الانكشارية منه وخلعه في شهر مايو (ايار) عام ١٨٠٧ . وقد قام بين هذين التاريخين باعمال جليلة بالرغم من المصاعب والقلقل التي احقت بالبلاد في عهده كشورة محمد علي باشا والي يانبا وطوالع ثورة اليونان . وخلفه السلطان مصطفى ولكنه لم يتربع في سرير السلطنة غير اشهر قليلة فخلفه السلطان محمود الثاني الذي نظم الجيش وفكك اجواق الانكشارية وكان اول سلطان نادى بالتنظيم والعدل والمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين على اختلاف

ملهم ونخلهم . وفي ٢٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٠٨ دعا مصطفى باشا
البرقدار وزيره وأمره ان يدعو الكبراء والاعيان لمفاوضتهم في شؤون الاصلاحات
التي قرر ادخالها الى السلطنة . فيري القاري مما تقدم ان تاريخ الاصلاح في
تركيا يبتدىء منذ قرن كامل . وبعد السلطان محمود الثاني بقي الاصلاح كامناً في
صدر الامة حتى عهد عبد المجيد فقاومه روسيا ثم ظهر لعهد السلاطين الثلاثة عبد
العزیز ومراد و جلالة عبد الحميد اذ قام بعض الغيورين مثل مدحت باشا وبثوا
ما في صدر الامة من امنية الاصلاح

وفي ١٦ يونيو (حزيران) سنة ١٨٢٦ اصدر السلطان محمود الخط المايوي
القاضي بتنظيم الجيش كما تنظم الجيوش الاوروبية . الا انه لم يكن أسعد حالاً
واكبر نصيباً من سلفه السلطان سليم الثالث فقد أصلى حريين مع الدولة الروسية
فشلت الدولة فيهما . الاولى في عام ١٨١٠ وقد انتهت في شهر مايو (ايار)
سنة ١٨١٢ والثانية سنة ١٨٢٨ وقد انتهت في سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٢٩
واضطر السلطان محمود في خلال هذه السنوات ان يقاتل الصريين واليونانيين
وجنود محمد علي باشا والي مصر فعجل ذلك بموته فتوفي بعد واقعة نزيب
التي انكسرت فيها قوات حافظ باشا . وخلفه نجله الاكبر السلطان عبد المجيد
وهو في السابعة عشرة من عمره . وكانت المسألة المصرية أعظم شاغل للدول
فاصدر فرمان سنة ١٨٤٣ الذي كان ختام ادوارها

ولما فرغ من مشاغله الداخلية التفت الى ما كان قد بدأه ابوه من قبله
فأيده وأعلن سنة ١٨٣٩ فرمان الاصلاح المعروف بفرمان " كل خانة " ثم
ناط بمصطفى رشيد باشا المصلح العثماني المشهور بتحقيق ذاك الاصلاح الذي ساء
الحكومة الروسية فاقترحت على انكلترا منذ عام ١٨٨٤ اقتسام تركيا وكانت
الدولة الانكليزية تتصام عن ذلك . فكانت روسيا تزداد استياءً بقدر ازدياد
الاصلاح انتشاراً في بلاد الدولة وظلت تدس الدسائس الى ان اصلت نار الحرب
بينها وبين الدولة العلية سنة ١٨٥٤ ولم تكن تعتقد ان انكلترا وفرنسا تنتصران

للدولة عليها

ولما انتهت تلك الحرب بفشلها اعلن السلطان عبد المجيد الخط الهمايوني الثاني في ١٨ فبراير (شباط) من عام ١٨٥٦ قبيل مؤتمر باريس ساوى فيه بين جميع الرعايا العثمانيين وصرح بقبولهم جميعاً في الجنسية العثمانية بلا اختلاف ولا تفريق غير ان بعض رجال حزب التأخر حالوا دون انفاذ هذا الخط الهمايوني . وقد توفي سنة ١٨٦١ خلفه اخوه السلطان عبد العزيز

٢ — عبد العزيز ومراد

بدأ عبد العزيز حكمه بقمع ثورة الجبل الاسود والصرب وكانت مدة حكمه ١٥ سنة قضاها منغمساً في شهواته وملذاته وكان مغروراً ومتعظماً ومحباً لنفسه ومسرماً ولم يهتم قط بمصلحة الامة والدولة فكان سلوكه سلوك حاكم في عصر الجهالة ولكن المدنية الاوروبية لا تمهله حتى يأذن لها بالدخول الى بلاده في حين انها كانت تندفق على الشرق فاستطردت الى تركيا في طريقها . وبينما كان السلطان مضجعا في سرير ترفه كان نبهاء الشعب متيقظين وقد ساعدهم تراخيه على التمرس على حب الحرية والتمدن الجديد ولا سيما لانهم كانوا يدرسون الآداب الغربية وكان لهم المجال رحباً لان حرية المطبوعات والجرائد لم تكن مخنوقة . فانشت لذلك العهد جريدتا " مخبر " و " حریت " . وكاننا تبشان روح الاصلاح في الامة ونشأ الشاعر النابغة كامل افندي فاثار الوطنية في الصدور بمنظوماته الحماسية ولا سيما لانه كان يقرع بالحكومة . وعند ذلك استيقظ السلطان عبد العزيز من غفلته مذعوراً وبذل ان يتدارك المملكة بالاصلاح اعتمد على وزيره محمد نديم باشا وشاركها بالرأي اغنايف سفير روسيا فانفقوا على اعلان افلاس تركيا بدل ان يتفقوا على اصلاح ماليتها وتقويم حال البلاد كلها . وكان ذلك علة عدا الاوروبيين الشديد لتركيا لان الذين

لهم اموال لا يقبلون مزاحاً بالمسائل المالية . وعليه انتهرت روسيا في خلال هذه
الازمة فرصة تغيظ الصليب الاوروبي من الهلال التركي واثارت الحرب الروسية
التركية سنة ١٨٧٦ التي كانت وبلاً على تركيا

وزد على ذلك ان مسألة الخلافة انشأت عقدة سياسية اخرى افضت الى
خلاف انكلترا وروسيا فان هذه رغبت ان تكون الخلافة للبرنس عز الدين
ابن السلطان عبد العزيز لانها كانت تعتقد انه يميل لها وانكلترا كانت تؤيد
الامير مراد لانه صاحب الحق والامة تحبه لتعقله وحسن آدابه ومعرفته

وكان مدحت باشا ابو الاحرار من أعظم انصار مراد فلما ساءت كل حال
في المملكة استمال اليه محمود نديم باشا الصدر الاعظم . واستوثق منه ان
لا يحرك ساكناً ضده ولا يقضي اوطار روسيا . وعند ذلك أثار السفطاء أي
العلماء وقراء القرآن والمشائخ وعددهم يبلغ نحو ٤٠ ألفاً فاضطر السلطان ان
يرضيه بعزل نديم باشا الصدر الاعظم وعزل شيخ الاسلام وتعيين مدحت باشا
وزيراً . واستوز محمد رشدي باشا صدر أعظم

ولما ثار اهل الفلاخ والبغدان ولّي حسين عوي باشا قيادة الحيش فقمع
الثورة . ولما تعرف مدحت باشا بعوي باشا هذا واطلع على مبادئه وجده خير
نصير له على الاصلاح فاتفقا على تنظيم لائحة اصلاحية تقضي : ١ — بمساواة
العثمانيين بقطع النظر عن مللهم ٢ — بانشاء مجلس المبعوثان للسيطرة على مالية
البلاد واصلاحها ٣ — بمحاكمة الوزراء في محكمة خاصة اذا اذنبوا أي جعلهم
مسؤولين خلافاً لما كانوا عليه ٤ — باطلاق حرية المطبوعات . لان عبد العزيز
لما شعر بهياج الشعب ادرك ان حرية المطبوعات كانت السبب فختفها

ولما قرّروا هذه اللائحة اتفق مدحت باشا مع السفطاء ان يقوموا بثورة
عامة ويخلعوا السلطان اذا ابى اجابة هذه المطالب ويولوا مراداً مكانه . وكان

عوني باشا في الوقت نفسه قد أعدت القوة العسكرية لانفاذ مشروع الخلع وشيخ الاسلام الجديد خير الله افندي اصدر فتوى بالخلع مدارها اخلال السلطان بواجباته وفي ليلة ٢٠ ايار (مايو) سنة ١٨٧٦ قاد عوني باشا الجنود الى القصر السلطاني وأمرهم بالاحاطة به وهم لا يعلمون ماذا يكون . ثم ذهب عوني باشا الى قصر الامير مراد وواقظه وابلقه انه سيقبل عه فذعر الامير ظاناً ان ذلك مكيدة له ولكن عوني باشا طمأنه

وكان رديف باشا مستشار الحربية قد عهد اليه ان يدخل على السلطان عبد العزيز ويبلغه الفتوى وبغية الامة بخلعه فدخل القصر بالرغم من مقاومة الحراس . وقد أحس السلطان عبد العزيز بضوضاء في قصره فنهض مذعوراً واذا برديف باشا واقف فوق رأسه فصرخ به ان يخرج من غرفته . فقال لرديف باشا : قم وانظر جنودك المحيطين بقصرك يريدون ان ينفذوا بغية الامة بخلعك . فاسقط عبد العزيز بيده وادرك الدسيسة وجعل يتغضب على مراد وعند ذلك كان عوني قد وصل مع الامير مراد الى دار السر العسكرية حيث كان جميع اعضاء الديوان ينتظرونهما وكان جمهور من الاحرار من كبار الدولة والعلماء وغيرهم فنادوا بالامير مراد خليفة . وفي اليوم العالي قرأ السلطان الجديد منشوره واعداً فيه بالاصلاح وهو منشور لم يسبق له مثيل لما فيه من روح الديموقراطية . اما عبد العزيز فيئس من أمره واتجر بنفسه بعدئذ . وأهم ما يذكر من أعماله في عهده انشاء البنك العثماني عام ١٨٦٢ ومعاودة لندن عام ١٨٧١ التي كانت ضربة جائرة على الدولة . وبلغ دين الدولة لعهدده نحو ٢٠٠ مليون ليرة عثمانية

وكان مراد طيب القلب حسن النية ميالاً الى المدنية الجديدة . ولكنه على ما يظهر كان ضعيف القلب والارادة فكان الصولجان ثقيلاً بيده فلم

يطبق حملة اكثر من ثلاثة أشهر فخلع بفتوى انه مجنون وتولى جلالة السلطان عبد الحميد الحالي بدله في آخر آب سنة ١٨٧٦ وكان مدحت باشا نفسه نصيراً له لانه رأى ان السلطان مراد لا يقوى على القيام باعباء الحكم ولا سيما لانه عصي المزاج جداً وقد أثرت عليه الحوادث ولا سيما انتحار عبد العزيز فمرض وكان مضطرباً كل الوقت . وقد أمّلت مدحت باشا ان جلالة السلطان عبد الحميد ينفذ الاصلاحات المطلوبة

٣ - مدحت ومجلس المبعوثان

وقبل ان يتبوأ جلالة السلطان عبد الحميد العرش كان قد وعد مدحت باشا أن ينفذ الاصلاح . وقد وقّع على القانون الاساسي الذي كان مهيمًا على نية ان يعلنه على أثر مبايعته . وبعد ستة اسابيع اعلن رسمياً بان جلالته سينشر لائحة الاصلاح الجديدة التي كان الشعب يتوقعها لان روح الاصلاح كانت قد عمّت الامة في ذلك الحين

ولكنه ما لبث ان ابغى مدحت باشا ان الاصلاحات التي قدمها اليه بطريقة غير رسمية لا توافق احوال المملكة وان لا بد من تنقيحها ففهم مدحت باشا ان جلالته يبتغي التملص من القانون الاساسي . ولكنه بقي مؤملاً ان ينفذ تلك الاصلاحات عن يد مجلس المبعوثان الذي لم ير جلالته بدءاً من دعوته

وعلى أثر ذلك تمين مدحت باشا صدرًا أعظم فأعلن القانون الاساسي باحتفال عظيم في كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٧٧ وتلا حينئذ جلالة السلطان منشوره الاصلاحى مبيناً الداعي لانشاء مجلس المبعوثان (الذي سيكون موضوعنا في النبعة الثانية)

على ان جلالة السلطان لم يكن راضياً بالقانون الاساسي ومجلس المبعوثان

قلبيًا وإنما تظاهر بذلك لكي يسترضي حزب الاصلاح ريثما يجتد الوسائل الكافلة باستعادة الحكم المطلق ومن ثم رأسه ان يقطع الحية من رأسها وذلك بان يبعد مدحت باشا لانه هو محور حركة الاصلاح فعزله من الصدارة العظمى ونفاه الى اوروبا . وهناك كتب في مجلة القرن التاسع عشر بعض مقالات مهمة عن تركيا

وما لبث ان استدعاه جلالة السلطان لانه حسب حساباً له وهو في اوروبا وولاءه ولاية كريت في تشرين الاول (اكتوبر) وبعد شهرين ولاءه على ولاية سوريا وهناك اتهم انه سيعصى ويستقل بالولاية فأرسل والياً الى ازمير . ثم استدعي الى المحاكمة في الاستانة بتهمة انه قاتل عبد العزيز . ولكنه علم بالدسيسة فلجأ الى قنصلية فرنسا فوردت رسالة من الاستانة مؤمنة على حياته فسألم نفسه واخذ الى الاستانة وحوكم وشهد عليه زوراً انه قاتل وحكم عليه بالاعدام ولكن مجلس الوزراء ابي ان يصادق على الحكم وسفراً الدول اعترضوا عليه فابدل النفي بحكم الاعدام ونفي مدحت باشا الى قلعة الطائف وبقي في منفاه ٣ سنوات ثم قتل ويقال ان راسه ارسل الى الاستانة اما مجلس المبعوثان فانعقد وكان يتباحث بأهم المسائل في ذلك الحين وكان في بحر انعقاده حرب هائلة للدولة مع روسيا . وقد حدث خلاف شديد بين اعضائه ورجال الحكومة لان الاعضاء كانوا يتباحثون بكل حرية وبحسب ما يخولهم القانون فعز ذلك على كبراء الحكومة الذين كاد المجلس يكف يدهم عن الاستبداد حتى لما اشتد الخلاف أمر السلطان بمجل المجلس وبقي ملغى حتى تموز الماضي كما علم القراء الكرام

وفي الجزء التالي تفصيل الحكم لعهد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني الحالي

نقولا الحداد

عجائب اللاسلكية

بالون يسير بالكهربائية بلا سلك — يهتم المستر ارثور سارجن في ١١ نيرررشل (ضواحي نيويورك) باختراع بالون يسير بقوة الكهرباء بلا سلك على مسافات مختلفة . ويقول انه واثق من النجاح . وفي طاقة اختراعه ان يسير البالون الى أي جهة أرادها قبضانه وان يرفعه أو يخفضه كما يشاء . وستكون مزية هذا البالون انه خفيف جداً بحيث يتسنى له نقل الاحمال الثقيلة

تلفون لاسلكي بين اوروبا واميركا — تهتم احدى الشركات الآن بانشاء تلفون لاسلكي بين برج ايفل في باريس وقمة احد الفنادق العالية في نيويورك . ويقال انه لا بد من استخدام الراديو لهذا التلفون الذي يرجع الصدى فوق الاتلاتيك تقارير طقس باللاسلكي — امكن الدكتور بولي مدير المرصد الجوي في اكس لاشابل ان يعمل تقارير عن الطقس غريبة بواسطة رسائل لاسلكية كان يأخذها من الباخرة ١١ اوغستا فكتوريا “ الخاصة خط ١١ همبورغ امبركان “ قال : ١١ نجحت في أخذ تقارير عن الطقس بالتلغراف اللاسلكي عن بعد ٨٠٠ ميل من شاطئ امبركا وعن بعد ١٢٠٠ ميل من شاطئ اوروبا وبمساعدة الرسائل اللاسلكية من البواخر استطعت ان ارسم خرائط طقس على مسافة ٨٠٠ ميل بالون بين نيويورك وبوسطن — تواف شركة لانشاء بالون تجاري لنقل البضائع والركاب بين نيويورك وبوسطن

الوكيل العمومي في القطر المصري

نرجو جميع مشتركينا الكرام في القطر المصري ان يعتمدوا وكيل الجامعة العام في القطر حضرة الاديب الفاضل الماجد محمد افندي شمس الدين الصحن بالميدان في الاسكندرية